

الفصل الثاني

إيقاع الجملة

١- مصطلح الازدواج

٢- الازدواج فى شعر الأعشى

٣- تحليل إيقاع الجملة فى مقطع المدح فى القصيدة رقم ١٢

(أ) المصطلح :

الازدواج فن إيقاعى يختص بالجملة ويتحقق بتكرار جملتين موزونتين ومع الازدواج يتحقق الوفاء بالمعنى ، والإيقاع بنفس الدرجة ، فينسجم المعنى مع إيقاعه مما يكون له أكبر الأثر فى نفس المتلقى.

ويُعدّ فن الازدواج من الفنون التى حظيت بعناية القدماء فخصصوا له مساحة كبيرة فى كتبهم.

ولكنى لا أرى ضرورة لذكر هذه الجهود وقد سبقنى إليها غيرى من الباحثين. (١)

وساقترص فى عرضى لمصطلح الازدواج على نموذجين :

النموذج الأول : لدرسة البلاغيين التقليديين وأعرض لها من خلال الخطيب القزوينى فى كتابه (الإيضاح فى علوم البلاغة).

(١) د / أحمد أحمد فتل ، علم البديع رؤية جديدة ، ط الدار العربية للتوزيع ، ١٩٨٩ و د / منير سلطان ، الإيقاع الصوتى فى شعر شولى العنانى ، ص ٣٨٥ وما بعدها.

النموذج الثاني : فهو لمنهج التاصيل والتجديد وأعرض له من خلال د / منير سلطان فى كتابه (الإيقاع الصوتى فى شعر شوقى الغنائى).

أولاً : مصطلح الازدواج عند القزوينى :

ويعرفه القزوينى بقوله : " ومنه الموازنة ، وهى أن تكون الفاصلتان متساويتين فى الوزن دون التقفية " (١) كقوله تعالى : ﴿رَعَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَّرَائِئُ مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الغاشية ١٥ : ١٦] ، ثم يضى بعد ذلك فى عرض المزيد من الشواهد دون تعليق.
تهقيب :

بعد هذا العرض الموجز لدراسة الخطيب القزوينى نتبين أن القزوينى قد اكتفى بالتعريف وعرض العديد من الشواهد ولا شىء بعد ذلك.
ثانياً : مصطلح الازدواج عند د / منير سلطان :

وانقسمه درس الازدواج عنده إلى قسمين :

(١) قسم نظيرى (تأصيلى) : تناول فيه رؤية القدماء للمصطلح وعرضهم له وتناول رؤيته وتعريفه للمصطلح.

(٢) قسم تطبيقى : وتناول فيه تطبيق رؤيته على شعر شاعر كبير هو أحمد شوقى وهذا التطبيق لم يتناوله القزوينى الذى اكتفى بعرض العديد من الشواهد المتناثرة.

وقد عرّف د / منير سلطان الازدواج بأنه : " جملة أو أكثر متتابعتان موزونتان بفاصلتين مسجوعتين أو غير مسجوعتين " (٢).

(١) الخطيب للقزوينى ، الإيضاح فى علوم البلاغة ، ص ٥٥٢ .

(٢) د / منير سلطان ، الإيقاع للصوتى فى شعر شوقى الغنائى ، ص ٣٩١ .

ولأنى أتخذ من التاصيل والتجديد منهجًا لى فساطبق رأى د / منبر
سلطان فى دراسة الازدواج فى شعر الأعشى.

(ب) الازدواج فى شعر الأعشى :

وقد أحصيت له ثلاثين شاهدًا فى ديوانه وأدرس الازدواج فى شعر

الأعشى من خلال ثلاثة محاور رئيسية هى :

(١) التكوين .

(٢) التشكيل.

(٣) التوصيف.

أولاً : التكوين :

والمقصود بالتكوين الضوابط التى تحكم فن الازدواج أو تحكم أى فن من

الفنون ، وجاءت تكوينات الازدواج عند الأعشى فى صورتين :-

(أ) الجملتان المزدوجتان المنتهيتان بفاصلة غير مسجوعة :

ومن ذلك قوله :-

رِوَا حِ العِشْيِ وَنَسِيرِ الغَدْوِ يَدِ الدَّهْرِ حَتَّى تُلَاقِيَ الخِيَارَ^(١)

٢٨ / ٥

فالجملتان المزدوجتان (رواح العشى - سير الغدو) منتهيتان بفاصلة

غير مسجوعة.

وقوله مادحًا :

بِأَجْوَدِ مَبْنَاهُ بِمَا عِنْدَهُ فَيُعْطِي المُنِينِ وَيُعْطِي البُدُورَ^(٢)

٥٧ / ١٢

(١) يد الدهر : أند الدهر

(٢) البذور : جمع (بثرة) وهى الكيس المملوء نقودًا

وقوله متغزلاً :

عَبِيبُ الْقِيَامِ كَتِيبُ الْقَعْوِ دِ وَهَنَانَةٌ نَاعِمٌ بِأَلْهَا (١)

٥/٢١

إلى غير ذلك (٢).

(ب) الجملتان المزدوجتان المنتهيتان بفاصلة مسجوعة :

ومن ذلك قوله مادحاً قيس بن معد يكرب :

فَيَا عَجَبَ الرَّهْنِ لِلْقَائِلَا تِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اخْتَجَنُ
وَمَا قَدْ أَخَذَنُ وَمَا قَدْ تَرَكُنُ نَ فِي الْخَيْ مِنْ نِعْمَةٍ وَبِمَنْ

٦٧.٦٦/٢

الازدواج هنا جاء : - ملتين موزونتين منتهيتين بفاصلة مسجوعة وهما
(وما قد أخذن) ، (وما قد تركن) .

وفى جملة الازدواج تتحقق المبالغة فى المدح ، فالممدوح كثير الإغارة على
الأعداء كثير الانتصار عليهم فما أكثر ما أخذت خيله من نعم وما أكثر ما تركت
من قتلى وضحايا فبقدر الأخذ كان الترك وبقدر الترك كان الأخذ ، وهكذا نجح
الازدواج فى إظهار هذا كله.

(١) عيب : جريد النخل

(٢) انظر ديوان الأعشى : ٥٠ / ٣١ ، ٥٠ / ٥٥ ، ٥٠ / ٥٧ ، ٥٠ / ٥٩ ، ٨٠ / ٤١ ، ١٣٠ / ٤٩ ، ١٢٠ / ٥٥

١٢ / ٨ ، ٢٢ / ١٠ ، ٣٣ / ٦١ ، ٧٧ / ٣١ ، ٢٢٠ / ٣٢

ومن ذلك قوله مادحًا :

رَفِيعُ الوَسَادِ طَوِيلُ النَجَا د ضَخْمُ الدُّسَيْفَةِ رَحْبُ العَطَنِ^(١)

٨٠ / ٢

وقوله :

وَأَنْتَ الذِّي عَوَّيْتَنِي أَنْ تُرِيحَنِي وَأَنْتَ الذِّي أَوَيْتَنِي فِي ظِلَالِكَا

٢١ / ١١

وقوله :

قَلَوْ كُنْتُمْ نَحْلًا لَكُنْتُمْ جِرَامَةً وَلَوْ كُنْتُمْ نَبَلًا لَكُنْتُمْ مَعَاوِنَا^(٢)

١٤ / ١٩

إلى غير ذلك (٣).

ثانياً : تشكيلات الازدواج في شعر الأعشى :

التشكيل يمنح الفنان مساحة من الحرية في استخدام فن من الفنون فيستغل هذه المساحة في خدمة معناه ومقصوده ، ولذلك فهي لا تأتي عشوائياً ولكن تأتي بقصد من الشاعر.

وقد تعددت تشكيلات الازدواج في شعر الأعشى سواء على المستوى الأفقى للبيت أو المستوى الرأسى للقصيدة.

(١) رفيع الوساد : يكنى عن مسو مكانته الدسيفة : الجفنة الكبيرة ويكنى بذلك عن كرمه العطن : المناخ حول مورد الماء

(٢) جرامة : حنالة النمر المعائن : جمع معنص وهو السهم المموج الذي كسر نصله

(٣) انظر ديوان الأعشى : ٢ / ٢٧ ، ١٢ / ٣٥ ، ١٢ / ٥٢ ، ١٤ / ٢٨ ، ٢٩ ، ١٨ / ٥٢ ، ٥٣

٣٠ ، ٢٩ / ٧٧ ، ١٢ ، ١١ / ٧٣ ، ٧ / ٥٢ ، ٣٥ / ٣٣

أولاً : الازدواج الأفقى :

وقد تنوع الازدواج الأفقى فى شعر الأعشى فأخذت جملتنا الازدواج عنده أكثر من وضع على المستوى الأفقى للبيت.

(أ) حملنا الازدواج فى الشطر الأول :

ومن ذلك قول الأعشى :

وَمَا قَدْ أَخَذْنَا وَمَا قَدْ تَرَكْنَا مَنَ فِي الْحَيِّ مِنْ نِعْمَةٍ وَدَمِنَا

٦٧. ٦٦ / ٢

وقوله :

طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَادِ دِ يَحْمِي الْمُضَانَفَ وَيُعْطِي النَّفِيرَا

٣٥ / ١٢

جاءت جملتنا الازدواج فى الشطر الأول من البيت وهما جملتان موزونتان إيقاعياً كما أنهما موزونتان من ناحية المعنى فالممدوح فى الجملة الأولى (طويل النجاد) وطول النجاد يترتب عليه طول السيف يترتب عليه طول القامة يترتب عليه القوة والمهابة ، والجملة الثانية (رفيع العماد) يترتب عليه ثراء الممدوح ويؤدى إلى رفعة المكانة والمنزلة لذا فالممدوح مهاب المكانة فى عيون الآخرين.

ومن ذلك قوله :-

تَطُوطُ الثَّمِيمِ وَتَأْبَى الْغَبِوقُ مِمن سبنة النوم إلا نهارا

٤٤ / ٥

فوقعت جملتا الازدواج (تنوط التميم - تأبى الغبوق) فى الشطر الأول
وجملتا الإيقاع بجسدان المعنى فالأعشى يصف غانية جميلة وفى الوقت ذاته
مترفة فتأتى الجملة الأولى لتعبر عن هذا الجمال الذى يجعلها تعلق التمايم خوفاً
من الحسد لجمالها. والجملة الثانية تعبر عن ترفها فهى لا تستيقظ إلا وقد ارتفع
النهار لتشرب شرب الصباح.

وقوله :

عَسِرِبُ الْقَيْسَامِ كَثِيبُ الْقَعْوِ د وَهَنَانَةٌ نَاعِمٌ بِالْهَمَا

٥ / ٢١

وجاءت جملتا الازدواج فى الشطر الأول وأسهم الازدواج فى إظهار حركة
المحبة بين الوقوف والقعود.

(ب) جملتا الازدواج فى الشطر الثانى :

ومن ذلك قوله :

وَمَا مُزِيدٌ مِنْ خَلِيجِ الْفِرَاتِ يَغْشَى الْأَكَامِ وَيَعْلُو الْجُسُورَا

٥٥ / ١٢

الشاعر يصور ممدوحه فى كرمه بفيضان نهر الفرات ويجعل من الازدواج
طريقاً للوصول بالمعنى إلى أقصى غاياته ، فالازدواج بين (يغشى الأكام - يعلو
الجسورا) يصور قوة هذا الفيضان فبقدر قوته فى تغطيته للأماكن المرتفعة تأتي
قوته فى علوه للجسور فقوة الاندفاع واحدة ثابتة لا تفترو ولا تضعف فجاءت
الجملتان الموزونتان لتحقيق هذا التوازن فى قوة الاندفاع لمياه النهر.

وقوله :-

بِأَجْوَدِ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ قَبِعْطَى الْمَنِينِ وَيُغْطِي الْبُنُورَا

٥٧/١٢

إلى غير ذلك. (١)

(ح) الازدواج بين صدر البيت وتعجبه :

ومن ذلك قوله :

فَإِنْ يَتَّبِعُوا أَمْرَهُ يَرْتَضُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِينُ

٣٦/٢

وقوله :

ووضِعَ سِقَاءٍ وَإِحْقَابِهِ وَحَلَّ حُلُوسٍ وَإِعْمَادِهَا (١)

٤١/٨

وقوله :-

وَأَنْتَ الَّذِي عَوَّدْتَنِي أَنْ تَرِيضَنِي وَأَنْتَ الَّذِي أَوْثَقْتَنِي فِي ظِلَالِكَا

٢١/١١

إلى غير ذلك. (٢)

(١) انظر ديوان الأعشى :- ٥ / ٣١ / ٥ ، ٥٥ / ٥ ، ٥٧ / ٥ ، ٥٩ / ٤ ، ١٢ / ٤ .

(٢) التحس : ما يوضع فوق ظهور البعير تحت الرجل ليفي ظهره .

(٣) حذر ديب - الأعشى : ٢ / ٤٥ / ٢٢ ، ٨ / ٢٢ ، ١٠ / ٢٣ ، ٣٥ / ٢٣ ، ٦١ / ٥٢ ، ٧ / ٥٢ .

(٢) الازدواج الرأسي غير المسحوع :

وهو قليل في شعر الأعشى ومنه قوله :-

فأى فلاح الدهر يرجو سُرلتنا إذا نحن فيما ناب لم نفضل
وأى بلاء الصّدق لا فذ بَلوتم فما فوّدت كانت بليّة مُبلى
٢٢. ٣١/ ٧٧

وقوله :-

فأهلى فداؤك يوم الجفا إذا ترك القيد خطوي قصيرا
وأهلى فداؤك عند النزال إذا كان دعوى الرجال الكريرا
٢٩. ٢٨/ ١٢

(٣) الازدواج الرأسي الأفضى :

ومنه قول الأعشى مفتخرًا :

فحنّ عقلنا الألف عنكم لألبه ونحن ردّنا بالغبوق المعجل^(١)
وبحنّ ردّنا الفارسيين عنوةً ونحن كسرنا فيهم رُمح عبدك^(٢)
٣٠. ٢٩/ ٧٧

(٤) ازدواج ما قبل العاصلة :

وهو ازدواج استنعد إيقاعه قبل الوصول إلى الفاصلة ومن ذلك قول

الأعشى .

فإن يتبغوا أمره يرتدوا وإن يسألوا ماله لا يضمن
٣٦/ ٢

العوق : الخمر

(١) الغبوق المعجل : أي صلنا لصيفا بالخمر في الماء

(٢) رُمح عبدك : مسلوب لعن قيس

وقوله :

وَأَنْتَ الَّذِي عَوَّدْتَنِي أَنْ تُرِيحَنِي وَأَنْتَ الَّذِي أَوَيْتَنِي فِي ظِلِّكَ

٢١/١١

وقوله :

فَلَوْ كُنْتُمْ نَحْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً وَلَوْ كُنْتُمْ نَبْلًا لَكُنْتُمْ مَعَايِضًا

١٤/١٩

وقوله :-

جَمَاعُ الْهَوَى فِي الرُّشْدِ أَذْنَى إِلَى النَّقَى وَتَرَكَ الْهَوَى فِي الْغَى أَنْجَى وَأَوْفَى

٣٥/٣٢

ثالثاً : التوظيف :

بعد دراستنا لتكوينات الازدواج وتشكيلاته في شعر الأعشى نتطرق الى دراسة التوظيف لننتعرف على كيفية توظيف الأعشى للازدواج مع فنون البلاغة المختلفة من خلال التراكيب والصورة الفنية.

أولاً : التراكيب والازدواج :

(أ) الجملة الاسمية الضميمة المزدوجة :

وهي جملة تدل على النبات والديمومة ، والإيقاع الذي يحققه الازدواج

يضيف على الجملة الاسمية الفنية الحيوية والشعور بالديمومة فيقول الأعشى :

عَسِيبُ الْقِيَامِ كَثِيبُ الْقَعْوِ دِهْنَانَةٌ نَاعِمٌ بِأَهْلِهَا

٥/٢١

الجملتان المزدوجتان (عسيب القيام ، وكثيب القعود) حملتان اسمتان

حذف المبتدأ من كليهما للعلم به فالمحسوبة دائماً ما تبدو طويلة إذا وقعت فيها

جريدة نخل مستقيمة وهى حال ثابتة لها ، وإذا جلست تراها كومة رمل
لضخامتها. كما نجح إيقاع الازدواج فى تصوير حال الوقوف والعود ، فالشاعر
عينه معلقة بالحبوبة فى كل حركة من حركاتها فيراها بأكثر من صورة. وقد تطول
الجملة الاسمية فيطول معها الإيقاع ويمتد ، ومن ذلك قول الأعشى :

جَمَاعُ الْهَوَىٰ فِي الرَّشْدِ أَذْنَىٰ إِلَى التَّقَىٰ وَتَرَكَ الْهَوَىٰ فِي الْغَىٰ لُنْجَىٰ وَأَوْقَىٰ

٣٥ / ٣٣

الشاعر يرتدى عشاء الحكيم وهو يخرج لنا بالحكمة والعطلة والحكمة
بحاجة إلى ما يؤيدها فلجأ الشاعر إلى الجملة الاسمية الفنية التى تعطى الإحساس
بالثبات وأن هذا الأمر غير قابل للتغير ، فامتلاك الإنسان لإرادته فى الخير أقرب
إلى الصواب دائماً ، وترك الإنسان للأمر فى حال الغى والشر أقرب إلى النجاة.
والإيقاع طويل ممتد وهذا الامتداد يمنح الإحساس بالهدوء والراحة التى
تصاحب الحكمة وتساعد على فهمها.

وكما جاءت الجملة الاسمية طويلة وجاء الإيقاع معها ممتداً هادئاً
مناسماً للحكمة التى أوردها الشاعر فإنها قد تأتى قصيرة جداً ويكون الإيقاع معها
سريعاً قوياً.

يقول الأعشى مفتخرًا .

فَنَحْنُ عَقَلْنَا الْأَلْفَ عَنْكُمْ لِأَهْلِهِ وَنَحْنُ رَدَدْنَا بِالْغَبُوقِ الْمُعْجَلِ
وَنَحْنُ رَدَدْنَا الْفَارِسِيِّينَ عَنْوَةَ وَنَحْنُ كَسَرْنَا فِيهِمْ رُمْحَ عَيْبَلِ

٣٠ . ٢٩ / ٢٧

جاءت الجملة المزدوجة (نحن عقلنا، نحن رددنا، نحن ردنا، نحن كسرنا)
جملاً اسمية فنية قصيرة جداً فجاء الإيقاع سريعاً قوياً يناسب حال الفخر الدائم
الذي يعبر عنه الأعشى، فالشاعر يفخر بقومه وقد أدوا ديات القتلى وقد أكرموا
ضيوفهم وهزموا الفرس عندما أغاروا على قومه وردوهم مدحورين.

ولأن هذا ليس بعجيب ولا غريب على كرم قومه وشجاعتهم ولأنه شيء
ثابت لهم ملازم لأخلاقهم فقد جاءت الجملة المزدوجة جملاً اسمية فنية ثلاث
الموقف.

إلى غير ذلك. (١)

(ب) الجملة الفعلية الفنية المزدوجة :-

والجملة الفعلية الفنية المزدوجة تتجاوز حدود الزمن فنرى فيها الزمن
الماضي حاضراً والحاضر ماضياً فتختلف بذلك عن الجملة الفعلية الإخبارية التي
تنقيد بحدود زمن فعلها سواء كان ماضياً أو مضارعاً.

وجاءت الجملة الفعلية الفنية المزدوجة عند الأعشى في صورة الماضي
وهي تعبر عن الحاضر.

فيقول الأعشى :-

تَقُولُ ابْنَتِي جَيْنَ جَدِّ الرُّحَيْلِ أَيْرَخَتْ رَيْثَا وَأَيْرَخَتْ جَارَاهُ

٢١/٥

الأب يعتزم الرحيل والابنة ترجو عدم رحيله فتتوسل إليه بأن يبقى لها
صاحباً ويبقى لها جاراً فجاءت الجملتان المزدوجتان في صيغة الماضي وهما

(١) انظر ديوان الأعشى ٢ / ٨٠ / ٥ / ٢٨.

تعبيران عن الحاضر فالابنة ترجو أباهما أن يبقى بجانبها فهي لا تريد الماضي ولكنها تريد الحاضر بل والمستقبل ، وجاء الازدواج بموسيقاه الهادئة ليناسب حال الاستعطاف والتوسل وقد يتحرك الفعل من الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي عاكساً في ذلك إحساس الشاعر وحنينه إلى الماضي وارتباطه فيقول الأعشى :

وَمَا مُزِيدُ مِنْ خَلِيَجِ الْفِرَاتِ
يَغْشَى الْأَكَامَ وَيَعْلُو الْجُسُورَا

٥٥ / ١٢

الشاعر يصف ممدوحه بالفرات الذي يتدفق بالعبء الغزير الذي يغفلو الأكام ويعلو الجسور.

ويجعل من الجملة الفعلية الفنية المزدوجة طريقه إلى التعبير عن كرم الممدوح وقد تحرك الفعلان (يغشى - يعلو) من دائرة المضارع إلى دائرة الماضي ففيضان النهر ليس شيئاً جديداً بل هو شيء يحدث منذ القدم ويحدث في الوقت الحاضر وسيظل يحدث وكذلك ممدوحه فالكرم ملازم له في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل مثله كفيضان النهر.

(ج) جملة فعل الشرط الفنية المزدوجة :-

الشرط فعل ورد فعل وبقدر الفعل يكون رد الفعل وهذا قد يؤدي إلى توازن معنى يتوافق مع التوازن الإيقاعي المتحقق عن جملة الازدواج الموزونتين.

يقول الأعشى معانياً أبناء عمومته :-

فَإِنْ أَنَا عَنْكُمْ لَا أَصَالِحُ عَدُوَّكُمْ
وَلَا أَعْطُهُ إِلَّا جِدَالًا وَمَحْرَبًا
وَإِنْ أَدْنَى مِنْكُمْ لَا أَكُنْ ذَا تَمِيمٍ
مَمَّةٌ يَرَى بَيْنَكُمْ مِنْهَا الْأَجَالَدَ مَنْقَبًا

٢٩٠ ٢٨ / ١٤

الجملتان المزدوجتان جملتا فعل الشرط وهما موزونتان إيقاعياً يعبران
عن موقف الشاعر من أبناء عمومته فهو في حال بعده عنهم لا يصلح عدوهم وإذا
اقترب منهم لا ينهش أعضاهم فالشاعر لا يرى نفسه ويحتاج إلى حسم موقفه من
قربته لذا يلجأ إلى الشرط إلى جملة فعل الشرط الموقعة يقابلها جملة الجراء وإن
كانت غير موقعة في إثبات سلامة موقفه من أبناء عمومته.

ومثل ذلك قوله مادحاً :-

فَإِنْ يَتَّبِعُوا أَمْرَهُ يَرْثُوا
وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنُّ

٣٦/٥

الشاعر بمدح ويجعل من جملتي الشرط المزدوجتين (فَإِنْ يَتَّبِعُوا أَمْرَهُ)
و(إِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ) مدخلة إلى قلب ممدوحه الذي يتميز بالحكمة ولذا على الناس
أن يتبعوا أمره ، وهو مشهور بالكرم ولذا على الناس أن تذهب إليه لتنهل من
فيض كرمه ، وموسيقا الأزواج مطلوبة في حال كهذه هي حال المدح ، وفي الاتباع
وفي الحاجة والسؤال خير تصوير لكرم المدوح.

وإذا كان الأعشى قد لجأ إلى جملة الشرط الفنية المزدوجة في تصوير كرم

المدوح وحكمته فإنه لجأ إليها أيضاً في الهجاء فيقول :-

فَلَوْ كُنْتُمْ نَحْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً
وَلَوْ كُنْتُمْ نَبْلًا لَكُنْتُمْ مَعَايِصًا (١)

١٤/١٩

الشاعر يهجو من خلال جملة الشرط المزدوجة مستغلاً قوة الفعل وقوة رد
الفعل في سبب أعدائه ووضح ذلك في اختياره أداة الشرط ، فاختار أداة الشرط

المعاصر : جمع معصر وهو السهم المموج.

(١) الجريمة : حثالة التمر

(لو) وهى حرف امتناع لامتناع ، فهم ولو كانوا نخلًا - وهذا لن يحدث - فهم
حتالة هذا النخل ، ولو كانوا نخلًا (سهامًا) - وهذا لن يكون - فهم أسهم ورياح
معيحة منكسرة.

والجملتان مزدوجتان وإيقاع الأزواج أسهم فى تصوير قوة الهجاء ، وكانَ
الشاعر يسمع الدنيا كلها.

(د) حملة الاستفهام الفنية المردوحة :

والشاعر عندما يستفهم لا ينتظر منّا إجابة أوردا ولكنه ينقل لنا إحساسه
وانفعاله من خلال الاستفهام نها هو الأعشى ينقل لنا تحسره على أيام اللذة
والشباب من خلال جملة الاستفهام المزدوجة فيقول :-

فَكَيْفَ بِذَهْرٍ خَلَا ذِكْرُهُ وَكَيْفَ لِنَفْسٍ بِأَعْجَابِهَا

١٠ / ٢٢

فالشاعر فى جملتى الأزواج الاستفهاميتين (فكيف بدهر... ، وكيف
لنفس...) ينقل لنا تحسره على أيام الدهر التى مضت وفاتت وتحسره على أوقات
اللذة والمتعة التى ضاعت وهو لا يطلب جوابًا على تساؤله وإنما ينقل لنا إحساسه
بالضياع والمحنة التى يعيشها بعد كبر سنه والإيقاع سريع يعكس لنا سرعة تبدل
الأحوال وتغيرها فى شيء يثير العجب والحسرة فى آن واحد.

وجملة الاستفهام فى (كيف بدهر ، وكيف لنفس) قائم على نقل
إحساس الشاعر بالضياع والحسرة بصورة موقعة معتمدة على إيقاع الأزواج الممتد
بامتداد الزمن الذى فات وبامتداد الألم الذى يملأ نفس الشاعر.

وقد تأتى جملة الاستفهام المزدوجة لتفيد التأكيد على قوة الشاعر وقوة قومه.

فيقول الأعشى :-

أَلَسْنَا الْمُقْتَبِينَ بِمَنْ أَتَانَا إِذَا مَا حَارَنْتَ خُورُ اللَّفَاحِ^(١)
أَلَسْنَا الْفَارِجِينَ لِكُلِّ كَرْبٍ وَأَضْرَبَ بِالْمُهَنْذَةِ الصَّفَاحِ

١٢. ١١/ ٧٣

اعتمد الأعشى على جملة الاستفهام المزدوجة في تجسيد معناه فهي تورد الاستفهام بصورة موقعة تعكس إحساس الشاعر بالفخر بقبيلته ، وخاصة إذا كان إيقاع الازدواج يتم معه المعنى ، فالشاعر ينقل لنا أن قومه قد بلغوا المكانة العالية في الكرم وفي تفريج كرب الآخرين متى لزم الأمر، وساعده إيقاع الازدواج في تصوير هذا من خلال جملة الاستفهام المزدوجة.

ومثل ذلك قوله مفتخرًا :-

فَأَيُّ صِلَاحِ الدَّهْرِ يَرْجُو سِرَاتِنَا إِذَا نَحْنُ فِيمَا نَابَ لَمْ نَنْقَضِلِ^(٢)
وَأَيُّ بِلَاءِ الصَّدْقِ لَا قَدْ بَلَّوْتُمْ فَمَا فُقِيتُ كَانَتْ بَلِيَّةٌ مُبْتَلَى

٣٢. ٣١/ ٧٧

ثالثًا : الصورة الفنية والازدواج :-

(١) التشبيه والازدواج :-

إن مجيء التشبيه موقعا يجعل الأذن تستريح للنغم ، والخيال يستمتع بالصورة ، ثم تكون الموسيقى فرصة للتأمل في الصورة.

وقد تأتي جملتا الازدواج مشدبا به فيقول الأعشى مادحا :-

(١) احتفى وأكرم حاربت : انقطع لنها

خور : جمع حوارة وهي الناقة غزيرة اللبن التلاحح : الإبل

(٢) سراتنا : سائتنا ناب : نزل بالقوم من المصائب

سَمَا بَيْتَيْلٌ كَجِذْعِ الْحَضَا ب حر القذال طويل العسن

٤٥ / ٢

فجعلنا الأزواج (جذع الحضاب - حر القذال) جاءتا فى موقع المشبه به فالشاعر يصور عنق المدوح بجذع النخل فى سموه ، ومجىء التشبيه موقعاً منحنا الفرصة للتأمل فى الصورة التى تعكس عزة المدوح ورفعته وتصوير المدوح بالنخيل يؤدى إلى تتابع العديد من الصور فى ذهن المتلقى فالنخيل جمال وعلو وسمو وعديد من الفوائد كما أنه رمز للحياة فى هذه البيئة القاسية.

ومثل ذلك قوله :-

وَلَوْ كُنْتُمْ نَخْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً وَلَوْ كُنْتُمْ نَبِيلاً لَكُنْتُمْ مَغَاقِمًا

١٤ / ١٩

جاءت جملتا الأزواج كلاً منهما مشبها ومشبها به والتشبيه القائم على إيقاع الأزواج هنا أسهم فى تصوير المعنى القائم على الهجاء والسخرية من المهجوين الذين يمثلون حثالة التمر ويمثلون الأسهم المعوجة المنكسرة ؛ أى انعدام الفائدة منهم واستحالة تحققها فيهم . وامتد الإيقاع ليشمل شطرى البيت وهو امتداد يناسب مقام المهجوين الذين تنعدم الفائدة فى أفعالهم.

(٢) الكسابة والأردواج :-

ومن ذلك قول الأعشى ماسحاً :-

رَفِيعُ الْوَسَادِ طَوِيلُ النَّجَا د ضَخْمُ الْأُسَيْعَةِ رَحْبُ الْعَطْنِ

٨٠ / ٢

فجملتا الأزواج (رفيع الوساد ، طويل النجاد) جاءتا كناية عن صفات المدوح ، (رفيع الوساد) كناية عن منزلة المدوح وسمو مكانته ، و (طويل النجاد) كناية عن طول المدوح الذى يؤدي إلى هيبته ويؤدى بالتالى إلى عظم مكانته فى نفوس الآخرين وجاءت جملة (ضخم الدسيعة) مبالغة فى الكناية عن كرم المدوح ، وأسهم الأزواج فى استمتاعنا بجمال الكناية وأضاف إليها استمتاع الأذن بما يتصوره خيال المتلقى عن صفات المدوح مما يجعل هذه الصفات عالقة بذهن المتلقى لا تغيب عنه لحظة.

(ب) خليل منقطع المدح فى القصيدة رقم (١٢) ^(١) فى مدح هودة بن على الحمصي :-

- وأقوم بتحليل الأزواج فى مقطع المدح من هذه القصيدة ، وهذا المقطع من أطول مقاطع القصيدة وأجودها. وقد اخترت هذه القصيدة للأسباب الآتية :-
- (١) وفرة الأزواج فى القصيدة وبخاصة فى مقطع المدح الذى ورد سبع مرات.
 - (٢) تنوع تشكيلات الأزواج فى القصيدة.

(١) انظر ديوان الأعشى ص ٩٣ ومطلع القصيدة :-

غشت لليلى بليل خدورا وطابتها ونذرت للنورا

(٢٩ - ٣١) يلعب فيها المراب يخفق ويتراهى للمسافر . الجندب حشرة أصغر من الجرادة ، وليس

صياحه من فيه وإنما هو من جناحه . الحون الأسود الصرير صوت الحنذب .

(٣٢ - ٣٣) ناجية سريعة . الأمان الصخرة تكون فى الماء وتصبها الشمس ، فهو أصل لها . التميل

الماء للكثير . السرى سير الليل . الأين التعب والكلل . عمير تعسر بفتنيتها أى ترفعه . ماقسة

حمالية وثيقة كالجمل . تعلى تغلو فى مسيرها . الرديف هو الذى يركب خلف الراكب أى

لأنها لا تبالى أن يركبها أكثر من واحد فتتهض بهم جميعا فى هذه الرحلة العسيرة . الإتمات

السوق الضعيفة جعل تخلفها إثما . وكذبت أى تخلفت وكأنها كذبت ظن صاحبها بها ، أو لم

تف يواجبها . الهجير التهاب الحر واحتداه فى الظهر .

(٣) والأهم من هذا هو قدرة الأعشى على توظيف الازدواج فى قصيدته لتجسيد المعنى.

٢٩- وفى ذاك ما يستفيد الفنى	وأى لمزى لا يلاقى الشرورا
٣٠- ويبدأ يلعب فى السرا	بأ لا يهتدى القوم فيها مسيرا
٣١- قطعت إذا سمع السامعو	ن للجنب الجون فيها صريرا
٣٢- بناجية كأنان الثميل	توفى السرى بعد أين عسيرا
٣٣- جمالية تغلبى بالرداف	إذا كذب الأيمات الهجيرا
٣٤- إلى ملك كهلل السما	ء أركى وقاء ومجذا وخيرا
٣٥- طويل النجاد رفيع العما	د يحمى المضاف ويغضى التقيرا
٣٦- أهوذ وأنت امرؤ ماجد	وبحرك فى الناس يعلو البحورا
٣٧- مننت على العطاء الجزيل	وقد قصر الضن منى كثيرا
٣٨- فأهلى فداؤك يوم الحفا	ر إذ ترك القيد خطوبى قسيرا
٣٩- وأهلى فداؤك عند النزال	إذا كان دعوى الرجال الكسيرا
٤٠- فسائل تميما وعندى البيان	وإن تكتموا تحنوبى خيرا
٤١- تمسوك بالغيب ما يفتنو	ن يثنون فى كل ماء جيرا
٤٢- فأخطرت أهلك عن أهلهم	فصانف قدحك فوزا يسيرا
٤٣- ولما لقيت مع المخطريرين	وجدت الإله عليهم قديرا

(٢٤ - ٣٦) أركى من الزكاء وهو النمو والزيادة. الخير (بكسر الخاء) الكرم.

النجاد حمائل السيف يكنى بطولها عن طول القامة. العماد عمود

الخباء يكنى بارتفاعه عن شرف صاحبه لأن خيام الأشراف

ضخمة عالية. المضاف المستجير اللاجئ.

(٢٧ - ٢٨) الضن البخل أو هو من قولهم ضن بالمنزل أى لم يبرحه. ويؤيد ذلك

البيت التالي. القيد يقصد به العمى وكبر السن ، ترك خطوه قصيرا

لأنه قد لزم بيته لا يكاد يبرحه.

(٢٩ - ٤٣) دعوى مصدر من دعاه يدعوه أو من دعاه له أو دعا الله. الكريش شبه

الحشرجة ، صوت فى الصدر كصوت المختنق أو المجهود. الجدير

جمع جديرة وهى الحظيرة ، والجدير كذلك المكان المحوط بجدار.

أخطر جعل نفسه خطرا لقرنه فنارزه. القدح سهم الميسر.

٤٤-	وَأَعْدَدْتِ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا	رِمَاخًا طُيُولًا وَخَيْلًا تُكُورًا
٤٥-	وَمِنْ نَسِجِ ذَاوُودَ مَوْضُونَةً	تُسَاقُ مَعَ الْخَيْ عَيْرًا فَعِيرًا
٤٦-	إِذَا ازْتَحَمْتَ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيبِ	ق حَتَّ التَّرَاخُمُ مِنْهَا الْقَتِيرَا
٤٧-	لَهَا جَرَسٌ كَحَقِيفِ الْخَصَا	بِ صَانِفٍ بِاللَّيْلِ رِيحًا دُبُورًا
٤٨-	وَجَأَوَاءَ تَتَعَبُ أَنْطَالَهَا	كَمَا اتَّعَبَ السَّابِقُونَ لِلْكَبِيرَا
٤٩-	جِيَاذِكُ فِي الصَّيْفِ فِي بَعْمَةٍ	تُصَانُ الْجِلَالُ وَتُعْطَى الشُّعِيرَا
٥٠-	سَوَاهِمُ جُرْعَانَهَا كَالْجِلَا	مُ أَفْرَحُ مِنْهَا الْقِيَاذُ النَّسُورَا
٥١-	وَلَايْذُ مِنْ غَزْوَةٍ فِي الْمَصِيْبِ	فَ حَتَّ تَكُلُّ الْوَقَاخُ الشُّكُورَا

(٤٤ - ٤٧) أوزار الحرب عدتها. موضونة درع منسوجة بعضها على بعض. تساق

تحمل ويرسل بها. حث برد وحك. القتيرءوس المسامير التى تربط

أجزاء الدرع وحلقاته. الجرس صوتها حين يحتك بعضها ببعض.

الحصاد النبات الذى جف على سوقه ونضج. الدبور الريح الغربية

وهى تقابل الصبا وهى الريح الشرقية.

(٤٨ - ٤٩) حأواء كتيبة سوداء لكثرة ما على فرسانها من الحديد. الكسير
المكسور. الجلال جمع جل (بضم الجيم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان
به.

(٥٠) جذعان جمع جذع (بفتحين) وهو الشاب الحدث. الجلام جمع جلم
(بفتحين) وهو تيس الغلباء والغنم. القيادة طول قيادها فى الحروب.
النسور جمع نسر وهو لحم فى بطن الحافر يكون كالنوى والحصى.
أقرحها جرحها وأحفاها.

(٥١) سواهم : ضامرة متغيرة. حث سريعة. الوقاح الصلب ، حافر وفاح وفريس
وقاح أى صلب شديد. الشكور الضخم السمين ، شكرت الدابة
(كطرب) سمنت. تكلها تتعبها وتكدها وتجهدها.

- | | |
|--|---|
| ٥٢- يُنَازِعْنَ أَرْسَانَهُنَّ الرُّوَا | ٥٢- إِذَا مَا عَلَوْنَ النَّحُورَا |
| ٥٣- فَأَنْتَ الْجَوَادُ وَأَنْتَ الَّذِي | ٥٣- إِذَا مَا لِلنَّفُوسِ مَلَأْنَ الصُّدُورَا |
| ٥٤- جَدِيرٌ بِطَعْنَةِ يَوْمِ اللَّقَا | ٥٤- نَضْرِبُ مِنْهَا النَّسَاءَ النَّحُورَا |
| ٥٥- وَمَا مَزِيدٌ مِنْ خَلِيَجِ الْفُرَا | ٥٥- تِ يَغْشَى الْأَكَامَ وَيَعْلُو الْجُسُورَا |
| ٥٦- يَكُوبُ السُّفِينِ لِأَذْقَانِهِ | ٥٦- وَيَصْرَعُ بِالْعَبْرِ أُنْثَى وَدُورَا |
| ٥٧- بِأَجُودٍ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ | ٥٧- فَيُعْطَى الْمَنِينِ وَيُعْطَى الْبُدُورَا |

(ب) سبب اختيار القصيدة :-

هذه القصيدة من قصائد المدح فى شعر الأعشى ، والمدح من الفنون التى
أجادها الأعشى فهو شاعر رحالة يترحل من بلد إلى آخر بحثاً عن المال الذى ينفقه
فى متعته وحاجاته ، ولذا فإن الأعشى يودع هذه القصائد أجمل ما عنده.

والحق أن قصائد المدح كثيرة في ديوان الأعشى ولكنى اخترت هذه القصيدة في مدح (هوندة) لأن الأزواج فيها جاء بكثرة وبخاصة في مقطع المدح وهو الأمر الذى يمكننا من تتبع الدور الذى فعله فن الأزواج فى تجسيد المعنى.

(ج) الإطار العام :-

الشاعر يغيب عن ممدوحه هوندة بن على الحنفى فى يوم الجفار وهو يوم من أيام هوندة فى حروبه على تميم ولذا فالشاعر يعتذر عن غيابه فى هذا اليوم معللاً هذا بمرضه وفقده لبصره.

والأعشى لا يقف عند الاعتذار بل يتجه بالمدح إلى هوندة يمدحه ويمجده بأجمل الصفات وأحسنها حتى إن مقطع المدح جاء أطول مقاطع القصيدة وأجودها.

(٥٢ - ٥٤) الرواة جمع راوى وهو الذى يقوم على العناية بالخيال. شعثا قد تشعث شعرها وتفرق وانتثر الثغور جمع ثغر وهو موضع المخافة والخلل.

(٥٥ - ٥٧) مزيد تلتطم أمواجه فيطفو الزيد على سطحه. خليج الفرات ، العرب تسمى النهر خليجا. الأكام المرتفعات جمع أكمة. الجسر الذى يعبر عليه كالقنطرة ونحوها. يكب السفين لأنقانه يقلدها على وجوهها. والسعين جمع سفينة. العبر الشاطئ. الأثل شجر. البدور جمع بدرة (بفتح الباء وسكون الدال) وهى الكيس المملوء نقودا.

(٢) تحليل الأزواج :-

الشاعر يمدح ، والعلاقة بين الشاعر وممدوحه علاقة أخذ وعطاء متبادلين فالأعشى يعطى الممدوح الشهرة والخلود ، ويأخذ منه العطاء الرائل ويقدر المدح

يأتى العطاء ويحود ، والشاعر حريص أن يقنع ممدوحه ليلتمس له العذر ، ويحزل له العطاء ، فجاء مقطع المدح أطول مقاطع القصيدة وأجودها.

والأعشى لم يدلف إلى المدح مباشرة ، ولكنه مهد لهذا المدح بوصفه لحاله التى ساءت ، فحالت بينه وبين اشتراكه مع هونة فى يوم الجفار ، ثم وصفه للرحلة وصعوبتها عليه خاصة وقد فقد بصره ، ثم مضى بعد ذلك إلى مقطع المدح الذى حطى بالنصيب الأوفى من الازدواج ، فكان الازدواج فى هذا المقطع مؤثراً للغاية.

أولاً : تشكيلات الازدواج فى مقطع المدح :-

كانت الغلبة فى هذا المقطع للازدواج الأفقى ، فورد الازدواج الأفقى خمس

مرات ، بينما لم يأت الازدواج الرأسى سوى مرة واحدة :-

ومن الازدواج الأفقى ما جاء مسجوعاً فى قوله :-

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ يَحْمَى الْمُضَافَ وَيُعْطَى الْفَقِيرَا

٣٥ / ١٢

فجاءت جملة الازدواج (طويل النجاد - رفيع العماد) مسجوعتان

ومتصلتان مما أسهم فى تكثيف الإيقاع وقوته.

وجاء الازدواج الأفقى غير مسجوع فى قوله :-

جِيَانُكَ فِى الصَّيْفِ فِى نَعْمَةٍ تُضَانُ الْجَلَالَ وَتُعْطَى الشُّعِيرَا

٤٩ / ١٢

وقوله :-

وَمَا مُزْبَدٌ مِّنْ خَلِيجِ الْفَرَا تِ يَغْنَى الْأَكَامَ وَيَعْلُو الْجُسُورَا

٥٥ / ١٢

وقوله :-

بِأَجْوَدِ مِنْهُ بِضًا عِنْدَهُ فَيُعْطِي الْمَنِينُ وَيُعْطِي الْبُحُورَا

٥٧ / ١٢

أما الازدواج الرأسي فجاء غير مسجوع في قوله :-

فَأَهْلَى فِدَاؤُكَ يَوْمَ الْجِنَا رِ إِذْ تَرَكَ الْقَيْدُ خَطْمِي قَصِيرَا
وَأَهْلَى فِدَاؤُكَ عِنْدَ النَّزَالِ إِذَا كَانَ دَعْوَى الرَّجَالِ الْكِرِيرَا

٢٩. ٣٨ / ١٢

ثانيا : التوظيف :-

ورد الازدواج في مقطع المدح سبع مرات اعتمد فيها الأعشى على الجملة الفعلية المزدوجة اعتمادا كبيرا حيث وردت خمس مرات بينما لم ترد الجملة الاسمية المزدوجة سوى مرتين.

أولا : الجملة الفعلية الفنية المزدوجة :-

يتحرك الفعل مع الأعشى من دائرة الحاضر إلى دائرة الماضي فيصور بمدوحه هوة بن علي الحنفي بنهر الفرات في قوة تدفقه وكثرة فيضانه فيقول :-
وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيَجِ الْفِرَا تَرِ يَغْنَى الْأَكَامَ وَيَعْلُو الْجُسُورَا

٥٥ / ١٢

إن فيضان النهر وتدفقه ليس وليد اليوم ولكنه حدث يحدث منذ القديم وما زال يحدث وسيظل يحدث ، ولذا فالشاعر من خلال جملة الازدواج (يغنى الأكام – يعلو الجسورا) ينتقل برشاقة بالفعل من دائرة الحاضر إلى دائرة الماضي فيذكرنا بفيضان النهر سابقا وبالتالي بفيضان المدوح وكرمه في الماضي ثم ينتقل

بخيال المتلقى إلى المستقبل ففيضان النهر حدث لا ينقطع متجدد وسيظل يحدث ما دام النهر موجودًا وكذا كرم المدوح كان وما زال وسيبقى موجودًا ما دام هوة (مدوحه) باقيا.

والازدواج جاء قويا فجاء فى الشطر الثانى من البيت ليتحد إيقاعه مع إيقاع القافية فى نهاية البيت فيزيد قوة تناسب قوة الفيضان والتدفق إضافة إلى قصر الفاصل بين الجملتين (حرف العطف).

وانتقل الفعل معه من دائرة الحاضر إلى دائرة المستقبل مما يمنح تجدد الفعل قوة وديمومة فيقول :-

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عَزَدَ فَيُعْطَى لِمَعِينٍ وَيُعْطَى لِلْبُؤْرَا

٥٧/ ١٢

فالفعل (يعطى) ليس مقتصرًا على الوقت الحاضر فالعطاء متصل ودائم ومتجدد ، والإيقاع قرى عال يناسب قوة العطاء وقوة المنع التى يتميز بها هوة مدوحه.

ثانيا : الجملة الاسمية الفنية المزدوجة :-

وهى جملة جاءت لتقطع للممدوح بما هو ثابت له وما هو مقطوع له ودائم يقول :-

طَوِيلِ النَّجَادِ رَفِيعِ الْعِمَا دِيْحَمَى الْمُضَافِ وَيُعْطَى الْفَقِيرَا

٣٥/ ١٢

جاءت جملتا الازدواج (طويل النجاد - رفيع العماد) اسميتين فالممدوح حمائل سبعة طويلة مما يترتب عليه طول القائمة ويترتب عليه القوة والمهابة فى

نفوس الآخرين ، والممدوح عمد خيمته رفيعة فهو سيد يتمتع بشرف السيادة فى قومه . وللول القامة ثابت له وشرف السيادة ثابت له مقطوع به وكما جاءت الجملة الاسمية الفنية المزدوجة لتثبت للممدوح الهيبة والسيادة فإنها تأتى بعد ذلك لتثبت طاعة الشاعر وقومه وولاءهما للممدوح وهو حقيق بهذه الطاعة لما تقدم له من صفات ومحاسن تجبر الشاعر وقومه على طاعته والولاء له والفداء له فيقول:-

فَأَهْلِي فِدَاؤُكَ يَوْمَ الْجِفَا رِ إِذْ تَرَكَ الْقَيْدُ خَطْوِي قَصِيرًا
وَأَهْلِي فِدَاؤُكَ عِنْدَ النَّزَالِ إِذَا كَانَ دَعْوَى الرَّجَالِ لِلْكَرِيرَا

٣٩٠ ٢٨ / ١٢

الأهل فداء للممدوح يوم الجفار . وفداء له عند أى نزال ، فجمع له بين الماضى والمستقبل مع ثبات فى الموقف والأداء حققه الجملة الاسمية الفنية المزدوجة فى (أهلى فداؤك يوم الجفار ، وأهلى فداؤك عند النزال) . وجاء الازدواج بإيقاعه المتوازن ليؤكد هذا الموقف المتوازن من الأهل يوم الجفار ، وموقفهم الذى سيكون عند أى نزال وقد امتد الإيقاع الراسى ليشمل البيتين.